قضايا

تعرض هذه المطالعة قراءات في حروب السايبر الإسرائيلية؛ استراتيجيتها وعقيدتها وأساليبها الفاشية، مروراً بأبرز الهجمات غير المسبوقة من نوعها، والمنسوبة إلى ذراعها السيبرانية سيئة السمعة الوحدة 8200. هنا الجزء الرابع والأخير

قراءات في العقيدة الإسرائيلية وأفعالها

حروب السايبر [4/4]

شهيرة سلوم

منظر للمنازل والشوارع المدمّرة بسبب القصف الإسرائيلي على مخيّم جباليا في قطاع غزة في 2024/6/7 (الأناضول)

تنخرط إسرائيل في هجماتٍ غير مرئية لنا تندرج في إطار حرب السايبر، ولا يختلف سلوكها فيها كثيراً عمّا هو عليه في حروبها المباشرة، لجهة انتهاك حقوق الإنسان وارتكاب جرائم الحرب والاعتداء على سيادة الدول. يتفق الباحثون في هذا المجال على توصيف هذا النوع من الحروب بالنظيفة، لأنّها تجري من دون إراقة الدماء، إلّا أنّ إسرائيل أدمتها عبر استخدام أدواتها للقتل الجماعي المباشر. تستعرض هذه المطالعة في أربعة أجزاء قراءات في حروب السايبر الإسرائيلية؛ استراتيجيتها وعقيدتها وأساليبها الفاشية، مروراً بأبرز الهجمات غير المسبوقة من نوعها، والمنسوبة إلى ذراعها السيبرانية سيئة السمعة الوحدة 8200، وتبسط حيّزاً في العرض لهذه الوحدة، ولمشاريع الذكاء الاصطناعي الواردة في كتاب قائدها يوسي سارئيل، والتي يتبيّن أنّها موجودة فعلياً ويجري تنفيذها في حرب غزّة ولبنان، لكن بنسخة أكثر إجرامية.
هنا الجزء الرابع والأخير.

■■■

وبما أنّ جميع الحروب التي خاضتها إسرائيل في العقود الأخيرة كانت غير متكافئة، يعني خاضتها مع مجموعات وتنظيمات مسلّحة (قوى المقاومة) وليس مع جيش نظاميّ، فإنّ أبرز التهديدات التي على الفريق البشري الآلي مواجهتها: أولاً، هجمات «الذئاب المنفردة»، ويعني بذلك العمليات الفلسطينية في الداخل، أو التي قد تتعرّض لها المصالح الإسرائيلية في الخارج، إضافة إلى ثانياً، مسألة حماية الحدود. ثالثا، القوّة الصاروخية الضخمة لحزب الله. ويقول إنّه في حرب 2006، أطلق حزب الله حوالي أربعة آلاف صاروخ باتجاه إسرائيل خلال 33 يومًا. ويخطط في أي حرب مقبلة لضرب آلاف الصواريخ يوميًا، ما يشكّل تحديًا أمنيًا هائلًا أمام إسرائيل، «بحيث لن تستطيع القدرات القتالية التقليدية أن تهزم العدوّ بشكل كامل»، وهنا يأتي دور الذكاء الآلي والبشري معًا للتغلّب على التهديدات.
كيف يتخيّل القائد الاستخباري إسرائيل في عام 2040، وهيكلية مؤسساتها العسكرية والاستخبارية؟ يقول إنّ كتلة البيانات الضخمة التي تمتلكها كلّ الأجهزة الأمنية والاستخبارية الإسرائيلية ستكون على درجة عالية من التنظيم، وستتولى آلات الذكاء الاصطناعي مهام معالجة وتحليل بيانات استخبارية ضخمة مكتوبة وصوتية (عبر التنصّت على لغات متعدّدة) وبصرية، بسرعة قياسية ودقة عالية، وتلك المهام كانت ستستغرق عشرات السنين من العمل وتتطلّب جيشًا من محلّلي البيانات. وستصير المعلومات التي تجمعها المسيّرات جزءًا من كتلة البيانات تلك، كما ستصبح البيانات السرّية وغير السرّية جزءًا مما يسميه «الشبكة المغلقة-المفتوحة-المغلقة» closed-open-closed network، بحيث يمكن الحفاظ على المعلومات السرّية وفي الوقت نفسه الاستفادة من الشبكة المفتوحة.
ومن مهام الفريق الآلي البشري جمع معلومات استخبارية هائلة من المصادر المفتوحة والمغلقة، ثم معالجتها وتصنيفها وتحليلها. يقول سارئيل إنّ «التفوّق الاستخباري» (التفوّق!) يتمثل في القدرة على معرفة «كل شيء عن كل شخص».
ما هي الإمكانيات التي يُتيحها الفريق البشري الآلي للحروب الإسرائيلية؟ الإمكانية الأولى، تتمثل في إنشاء لائحة أهداف متصلة قبل بدء الحرب؛ عشرات الآلاف منها، وإنشاء آلاف الأهداف الجديدة يوميًا أثناء المعارك. يقدّر الجنرال الإسرائيلي أنّه مع هذا الفريق البشري الآلي، سيتم وضع أكثر من 80 ألف هدف قبل المعارك، و1500 هدف في أثنائها، ويصبح سلاح الجوّ معها العامل الحاسم في الحرب، بفضل المعلومات الاستخبارية الدقيقة التي وفّرتها التكنولوجيا وذلك التآزر بين الآلة والعنصر البشري، كما يقول. «القدرة على الفوز بالحرب بشكل حاسم تتطلّب أن تضع عدوّك كل يوم بوضع أسوأ من الوضع السابق»، هذا ما يقوله سارئيل، ما يدفعه، أيْ عدوّ إسرائيل، نحو الرغبة في وقف الحرب بأسرع وقت ممكن. لائحة الأهداف المقدّرة بعشرات الآلاف تلك، يضيف، قادرة على تحقيق ذلك.
برنامج «لافندر» Lavender، الذي كُشف عن استخدامه في حرب الإبادة على غزّة قبل أشهر، يبدو أنّ العمل به جارٍ إلى حدٍّ ما في لبنان، تطبيقًا لهذا الطرح. يستخدم هذا البرنامج الذكاء الاصطناعي، وصُمّم لتحديد المشتبه بهم في فصائل المقاومة (حركتي حماس والجهاد تحديدًا)، ومن ضمنهم القادة في الصفوف الأولى والعناصر. لقد جمع لافندر معلومات عن 2.3 مليون فلسطيني في غزّة هم سكّان القطاع، حلّلها، ثمّ وضع لكلّ شخص تصنيفًا من واحد إلى مائة، قبل أن يعدّ قائمة للقتل.
خلال الأسابيع الأولى من الحرب، أعدّ البرنامج لائحة قتل، تتضمن 37 ألف اسم فلسطيني، صنّفهم مسلّحينَ مفترضين، وحدّد مواقع منازلهم. وبعدها صادق جيش الاحتلال على لائحة «لافندر»، بلا أيّ فحص أو تدقيق في اختيار الأسماء أو المعلومات الاستخبارية التي لُقّنت للآلة لإعداد لائحتها، بحسب ما يكشف تحقيق لمجلة (972+). كانت الآلة تصدر الأمر بتصفية الهدف خلال عشرين ثانية، والجنديّ على جبهة القتال ينفّذ فورًا؛ فعلٌ متعمّدٌ بهدف نزع أيّ حسّ إنساني محتمل في أمر القتل.
ويحمل لافندر هامش خطأ نسبته 10%.
وكان الجيش الإسرائيلي يهاجم الأهداف بشكل ممنهج خلال فترة الليل، أي أثناء وجودهم في منازلهم مع عائلاتهم. ويستخدم «القنابل الغبيّة»، التي تهدم كلّ المبنى على رؤوس ساكنيه. يقول ضابط استخبارات إسرائيلي لمجلة (972+): «لا نريد أن نبذّر قنابل مكلفة على أشخاص غير مهمين، إنّها مكلفة جدًا للدولة ولدينا نقصٌ في هذه القنابل!». وذهبت عمليات القتل الممنهج إلى ما هو أبعد من لائحة لافندر في ارتكاب جرائم الإبادة، فقد سمح الجيش الإسرائيلي بقتل ما بين 15 و20 مدنيًا خلال تصفية عنصر واحد لحماس من غير صفوف القيادات على لائحة لافندر، وأذن عدّة مرّات بقتل أكثر من مائة مدني بهدف اغتيال قيادي رفيع واحد من حماس، بحسب ما ينقل تحقيق المجلّة، في خطوة غير مسبوقة في حروب إسرائيل وعملياتها العسكرية.
برنامج مماثل آخر مبني على الذكاء الاصطناعي يسمّى «ذا غوسبل» the gospel، كُشف عنه أيضًا في حرب غزّة؛ الفرق مع لافندر أنّ «غوسبل» يعدّ لائحة أهداف بالمباني والبنى التحتية.
نعود إلى مشاريع قائد الوحدة السيبرانية، فإضافة إلى بنك الأهداف، يعرض في كتابه تصوّرًا لبناء حدود ذكية مسيّجة بالتقنيات الحديثة، حيث تتولّى المسيّرات والروبوتات أمر إدارتها ومراقبتها. تتولّى المنطقة الذكية مهمة تحديد المواقع وتنظيم أجهزة الاستشعارات ذات الصلة وتجهيز القنوات المعلوماتية.

> من مهام الفريق الآلي البشري جمع معلومات استخبارية هائلة من المصادر المفتوحة والمغلقة، ثم معالجتها وتصنيفها وتحليلها
>
> ثلاث معارك لن تنتصر فيها إسرائيل، المعركة الإنسانية، المعركة الحقوقية، ومعركة الأرض
>
> سمح الجيش الإسرائيلي بقتل ما بين 15 و20 مدنيّاً خلال تصفية عنصر واحد لحماس من غير صفوف القيادات على لائحة لافندر

طريقة عمل الآلة الذكية

كيف تعمل الآلة الذكية في الغرف العسكرية والاستخبارية الإسرائيلية؟ يُقسّم سارئيل عملها إلى عدّة خطوات، تبدأ بجمع بيانات ضخمة وتفصيلية بكلّ السبل المتاحة، وتجهيزها. بعدها، تأتي خطوة اختيار نموذج (model). بناء هذا النموذج مسألة شديدة التعقيد وتعتمد على هدف عملية جمع البيانات؛ نموذج فيسبوك على سبيل المثال مبنيٌّ ليقدّم للمستخدم اقتراحات لصداقات محتملة، بناء على الأصدقاء المشتركين والأنشطة المشتركة، وما يتصل بها من بيانات اجتماعية، وينجح هذا النموذج ويكون أكثر دقة بقدر ما تغذّيه بالبيانات. في حالة النموذج المطروح لعمل وحدات الاستخبارات الإسرائيلية، ترتبط المعلومات المطلوبة أكثر بأنشطة المستهدَفين في الفضاءين المادي والافتراضي؛ على سبيل المثال، هؤلاء الموجودون في مجموعات واتساب المشتركة، أولئك الذين يشترون هواتف جديدة كل بضعة أشهر، والذين يغيّرون عناوينهم باستمرار، إلخ..
بعد بناء النموذج، يأتي التدريب والضبط، لتحسين دقة عمله. وبعدها، يكون الوقت قد حان لاختبار النموذج على أرض المعركة، وإذا ثبتت دقته بنسبة تراوح بين 70% و80%، نكون قد صرنا أمام نموذج ناجح، كما يقول. والآن، بعدما صارت لديهم بيانات ضخمة ونموذج ناجح، تأتي الخطوة التالية: التوقع، والتي تعني في ما يخص عمل تلك الأجهزة «ملء المعلومات الناقصة»: بمعنى آخر، أن تسأل الآلة، فتقدّم لك إجابات غير موجودة في البيانات التي تتغذّى منها.
لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّه في إطار عمل الوحدة 8200، تجري منذ سنوات مهمّة تسمّى التنقيب mining داخل كمّ هائل من المعلومات للعثور على أمر ما، أو نمط متكرّر، أو غريب، ويُستخدم في هذه العملية الذكاء الاصطناعي، بحسب ما ينقل تحقيق في صحيفة فاينانشال تايمز نُشر قبل تسع سنوات، عن أستاذ الهندسة في جامعة تل أبيب، وأحد أبرز خبراء التنقيب والذكاء الاصطناعي Oded Maimon. وميمون عمل مع أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وحصل على وسام من جهاز «الموساد» لخدماته في عام 2008.
لكن ما يطرحه سارئيل في كتابه ينقل هذه العملية إلى مستوى آخر من التعقيد والخطورة في آن معًا. فلنأخذ على سبيل المثال حالة «الذئاب المنفردة» (عمليات المقاومة)، التي تنظر إليها إسرائيل بوصفها واحدة من أبرز التهديدات التي تواجهها، والتي لم تستطع أجهزتها الأمنية والاستخبارية أن تتعامل معها أو تتوقع حصولها. الأفكار المطروحة في طريقة عمل هذه الآلة أنّه سيجري بناء نموذج يُزوَّد بمعلومات ضخمة عن السكّان، تحرّكاتهم وأنشطتهم في الفضاءات الواقعية والافتراضية، وأمثلة سابقة، بعدها تبدأ الآلة عملية التوقع، لتعدّ لائحة بالإرهابيين المفترضين، تليها عمليات استباقية لهجمات مفترضة. بموجب هذا التفكير، تصبح كلّ الأنشطة الواقعية والافتراضية المؤيدة لأعداء إسرائيل مرتبطة بـ«إرهابي مفترض»، أمّا ما يخص تعريف «الأعداء» و«الأنشطة المعادية» فهذا يعتمد على ما لقّنوه للآلة قبل أن تبدأ بإنشاء لائحة المشتبه بهم بوصفهم إرهابيين افتراضيين. وهذا السيناريو مرعب، فهو يعني أننا أمام آلات ذكية تُحاكي العقل الإجرامي الإسرائيلي وتتغذّى منه.
في الفصل الأخير من الكتاب، يعرض سارئيل رؤيته لعام 2050، بأن ينتج هذا التآزر في الفريق البشري - الآلي جيشًا من الروبوتات في ساحات الحرب.
على أثر هذه القراءات الإسرائيلية في مشاريع الذكاء الاصطناعي، يتبادر إلينا السؤال التالي: لماذا لم تتوقّع الوحدات الاستخبارية الإسرائيلية هجمات السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023؟ بحسب تسريبات إعلامية إسرائيلية، قدّمت الوحدة 8200 تقريرًا استخباريًا إلى مسؤولين عسكريين في سبتمبر/ أيلول 2023 حذّرت فيه من هجوم محتمل لحركة حماس، كاشفةً عن تدريبات تجريها قوات النخبة في الحركة لتنفيذ عملية خارج سياج الحصار، تتضمن أسر وخطف ومهاجمة مواقع عسكرية إسرائيلية. طيب إذًا، لماذا تجاهلوا التحذيرات بشأن الهجمات التي ستُخاض بعدها حرب يتوعّدون بأنّها ستغيّر وجه المنطقة؟
لا نطرح في موضوعنا هنا مسألة تفوّق السلاح الإسرائيلي في مجالات البرّ والبحر والجوّ والسايبر، في حروبها غير المتكافئة ضدّ جماعات مقاومة غير نظامية وشبه نظامية؛ فهذه المسألة محسومة لصالح إسرائيل، والحرب معها في هذه المجالات خاسرة سلفًا، وفق منطق موازين القوى وحساباتها. مع هذا؛ ثلاث معارك لن تنتصر فيها إسرائيل، ما دامت هي إسرائيل التي نعرف. المعركة الإنسانية التي خسرتها قبل أن تبدأ حرب الإبادة. المعركة الحقوقية، الخاسرة منذ نشأت نظامَ فصلٍ عنصريًا وقتلت وهجّرت السكّان الأصليين واحتلت أرضهم. ومعركة الأرض. مهما استشرس سلاحها الجوّي في القتل والقصف والتدمير، فإنّها لن تستطيع حسم الحرب، ما دام جنودها لا يتقدّمون على الأرض، ويشتبكون مع أصحاب الأرض، ومن «المسافة صفر» كما يُصطلح على توصيفها؛ وليس بالاشتباك وحده، بل بالسيطرة أيضًا. هذا لم يتحقق لهم في غزّة، ولا يحصل في لبنان.

برنامج «لافندر» والقتل العشوائي

يستخدم برنامج «لافندر» Lavender الذكاء الاصطناعي، وصُمّم لتحديد المشتبه بهم في فصائل المقاومة، ومن ضمنهم القادة في الصفوف الأولى والعناصر. لقد جمع لافندر معلومات عن 2,3 مليون فلسطيني في غزّة هم سكّان القطاع، حلّلها، ثمّ وضع لكلّ شخص تصنيف من 1 إلى 100، قبل أن يعدّ قائمة للقتل. وخلال الأسابيع الأولى من الحرب، أعدّ البرنامج لائحة قتل تتضمن 37 ألف اسم فلسطيني، صنّفهم مسلّحين مفترضين، وحدّد مواقع منازلهم. وبعدها، صادق جيش الاحتلال على لائحة «لافندر» بلا أيّ فحص أو تدقيق.